أَمْنُ الْبِلَادِ

أهميته وَوَسَائِلُ تَحْقِيقِهِ وحفظه

تأليف

عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

ⓒ **عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ١٤٢٦هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر، عبدالرزاق بن عبدالمحسن

أمن البلاد أهميته ووسائل تحقيقه وحفظه./ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.- المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ

٤٠ص ؛ ١٢× ١٧سم

ردمك: ٣- ٢٠٤- ٤٧- -٩٩٦٠

١- الإسلام والأمن أ. العنوان

ديوي ٢٥٧ ١٤٢٦/٨٠

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٨٠

ردمك: ٣- ٢٠٤- ٤٧- -٩٩٦٠

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م



مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين وسلَّم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: فإنَّ موضوع الأمن موضوعٌ حبيبٌ إلىٰ النُّفوس، موضوعٌ له جوانب متنوعة ومجالات عديدة، والحديث عنه مهم، كيف لا ؟! والأمن مقصَدٌ جليلٌ وهدفٌ نبيل ومطلَبٌ عظيم يسعىٰ إليه النَّاس أجمعهم، الكُلُّ يحب الأمن له ولأقربائه ولمجتمعه، إلا شُذَّاذ النَّاس.

ومِن أجل تحقيق الأمن والحصول عليه تُعْقَد مؤتمرات، وتالَّف مؤلَّفات، وتُلقىٰ دروسٌ ومحاضرات، ويجتهد أصحاب الرَّأي والفكر والنَّظر فيما يُحقِّق الأمن ويجلبه للنَّاس؛ فالأمن مقصد يُسعَىٰ إليه، وهدف يُطلب وغاية تُنشَد.

والأمن ضدُّ الخوف، الأمن قرارٌ في القلب، وسُكُون في النَّفس، وطمأنينةٌ في البال، وزوالٌ للخوف والضَّجر؛ فيأمن الإنسان علىٰ ماله، علىٰ عرضه، علىٰ عقله، علىٰ حياته وممتلكاته؛ فهذا أمر يَطلبه الجميع، ويسعون في نيله.

وتتفاوت أفهام النَّاس ومداركهم في الحديث عن الأمن والطَّريقة التي يُحصَّل بها، ولربما اقترح بعض النَّاس في تحصيل الأمن ونَيله ما يكون به حصول ضدِّه ونقيضه.

ونظريات النَّاس وآراءهم حول الأمن وبما يُنال متفاوتة لتفاوت عقول البشر وتباين آرائهم، وتَمَايز مداركهم، وهذه طبيعة في البشر معروفة؛ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨]، لكنَّ المسلم الذي منَّ الله جلَّ وعلا عليه بهذا الدِّين وهداه إلىٰ صراطٍ مستقيم يُدْرِك حقيقةً في هذا الباب ضلَّ عنها أكثر العالمين، فهدىٰ الله إليها أهل الإسلام، وأضل عنها من انحرف عن صراط الله المستقيم، ألا وهي أنَّ الأمن مِنَّةٌ إلهية ومنحة ربانية وعطيَّة مِنَ الله جل وعلا، الأمن عطاء مِنَ الله يَمُنُّ به علىٰ من شاء متىٰ شاء سبحانه وتعالىٰ، لأنَّ الأمر أمره، والخلق خلقه، وأزمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره، لا مانع لما أعطىٰ،

ولا معطي لما منع، لا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، لا مُعِزَّ لمن أذَلَّ، ولا مُذِلَّ لِمَن أعَزَّ.

فالأمن مِنَّةٌ مِنَ الله، فهو الذي يُأَمِّنُ الخائف، ويُجيرُ المستجير ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال:٤٠].

المسلم يدرك ذلك جيداً، ويعلم عِلماً لا شكَّ فيه أنَّ الأمن مِنَ الله جل وعلا، فلا يطلبه إلا منه، ولا يلجأ في تحصيله إلا إليه؛ ولهذا يسعىٰ المسلم في تحصيله لأَمْنِهِ بالوسائل الشَّرعية التي بيَّنها الله تبارك وتعالىٰ لعباده، وأوضحها لهم، ودعاهم لتحقيقها لينالوا بها مِنَّةَ الأمن.

والقرآن الكريم دلَّ في مواضع كثيرة مِنْهُ علىٰ هذه الحقيقة المباركة، ومن ذلك ما ورد في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧]. وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧].

وتأمَّل هنا قوله: ﴿نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ فالأمن إنما يكون بتمكين الله وتيسيره وتذليله سبحانه وتعالىٰ، وهنا الخطابُ

للمُشرك الذي يؤمن بالباطل، ويكفر بنعمة الله جل وعلا، وأمره عجبٌ في هذا الباب، ولاسيما مَن هم معنيُّون بهذا الخطاب، وهم كفار قريش الذين يعيشون في مكة البلد الآمن الذي قال الله عنه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧]، والذي استجاب الله تعالىٰ فيه لدعوة نبيه وخليله إبراهيم عليه السَّلام. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥] في موضعين من القرآن، فاستجاب الله جل وعلا وجعله حرمـًا آمنـًا، وكان أولئك الكفار يعيشون في هذا البلد الآمِن، والنَّاس يُتخطفون من حولهم قتلاً ونهبـًا وتشريداً وسفك دماء، وهم يعيشون عيشة الأمن في ذلك البلد المبارك، لكنهم مع ذلك كله يؤمنون بالباطل ويكفرون بنعمة الله، ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧]؛ وكان جديرًا بهم وقد منَّ الله عليهم بالأمن ومَكَّن لهم بتحصيله ونَيْلِه أن يخضعوا لله، وأن يَذِلوا له، وأن يصرفوا له وحده الطَّاعة والعبادة، وأن لا يعبدوا سواه، ممن لا يملك لنفسه نفعـًا ولا ضراً، فضلاً عن أن يملك شيئًا من ذلك لغيره.

ولما دعاهم النَّبِيُّ ﷺ للإسلام والدخول في دين الله وإخلاص العبادة له، ماذا كان أمْرُهُم معه؟ قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧]، فذكَّرهم الله تبارك وتعالىٰ بهذه المِنَّةَ، إلا أنهم ادَّعوا أنَّ دخولهم في دين الله واستجابتهم لطاعة الله وقبولهم للإسلام الَّذي يدعوهم إليه رسول الله ﷺ هو سبب خلخلة الأمن، ولهذا ادّعوا هذه الدَّعوىٰ الظَّالمة الفاجرة في حق هذا الدِّين: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾؛ فيا سبحان الله! يدَّعي هؤلاء أن الدِّين والإيمان والإسلام وطاعة ربِّ العالمين -الَّذي هو أساس الأمن وسبب تحصيله- هو سبب القلاقل والمحن والبلايا والفتن، ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾ وكيف يُقال ذلك؟! مع أنَّ الذي مَكَّن لهم الأمن وهيَّأه لهم هو ربُّ العالمين الباعث لهذا الرَّسول الكريم ﷺ؟!

وفي موضع آخر من القرآن ذكَّرَهم الله جل وعلا بالأمن الذي هو منَّتُهُ وعَطِيَّتُهُ، فقال في آخر سورة قريش: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ

رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾[قريش:٣-٤]؛ وكانوا في وقتٍ تعيش فيه الدُّنيا قتلاً ونهبـاً وسفكا للدماء وقلاقل وفتنـاً، وهم يعيشون في مكَّة في أمنٍ وأمان، لكنهم لم يشكروا نعمة الله، ولم يعرفوا مِنَّة الله جل وعلا، وصرفوا النِّعمة في غير سبيلها وفي غير بابها، يخلقهم الله، ويُأمِّنُ خوفهم، ويَسُدُّ جوعهم، ويكسو عاريهم؛ ثم يصرفون العبادة إلىٰ غيره جل وعلا - من أحجار وأشجار وغيرها، مما لا يملك موتـاً ولا حياةً ولا نشورًا، ولهذا كان أمراً في غاية العجب، وغاية الجحد لنعمة الله تبارك وتعالىٰ.

وذِكْرُ الله تبارك وتعالىٰ لذلك في القرآن ليس ليكون أمراً معلومـاً لدىٰ النَّاس فقط، وإنما لِيَعُوا هذه الحقيقة، وليفهموا هذا الأمر العظيم، وهو أنَّ الأمن مِنّة الله تبارك وتعالىٰ، فلا يطلب إلا مِنْهُ، ولا يُلتجأ في تحصيله إلاَّ إليه سبحانه وتعالىٰ.

وتقدم دعوة إبراهيم الخليل عليه السَّلام لمكة التي استجابها الله تعالىٰ له ولبَّىٰ فيها نداءه وطلبه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[البقرة:١٢٦]، وفي سورة إبراهيم قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ

قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [ابراهيم:٣٥]، في سورة البقرة نكَّر البلد وفي سورة إبراهيم عرَّفها؛ وقد قال غير واحد من المفسِّرين: لعلَّ ذلك أنَّ إبراهيم دعا لمكة مرَّتين، مرَّة عندما كانت بوادٍ غير ذي زرع لا سكَّان فيها ولا ماء، فدعا لها بهذه الدَّعوة، فناسب حينئذ التَّنكير، قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾؛ وأما التَّعريف فهي دعوة عندما ترك فيها ولده إسماعيل وأمه وكانت آهلة وفيها الزَّرع والثِّمار، فدعا لها بالتَّعريف، قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾، واستجاب الله دعاءه، ولبَّىٰ نداءه، فأصبحت مكة بلداً آمنـًا، وبلداً حرامـًا، وهي بلدٌ آمن قدَرًا وشرعًا، قد كتب الله عزَّ وجلَّ لهذا البلد الأمن والأمان.

وأيضـًا دعا الله عز وجل في كتابه إلىٰ المحافظة علىٰ أمن ذلك البلد، وحذَّر جل وعلا أشدَّ التَّحذير ممن يسعىٰ للإخلال بأمنه والإخلال بالطّمأنينة فيه، أو يسعىٰ في إيجاد الخوف والذّعر والقلق بين أهله وساكنيه، بل إنَّ الله -عزَّ وجلَّ- جعل أمن ذلك البلد يشمل الماشية والدَّواب ويشمل الزُّروع، فلا يُصاد صيدها ولا يُنَفَّر، ولا تُقطَّع أشجارها، وكل ذلك مِن أمن

هذا البلد، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧]، فهو آمن قدراً وشرعـًا، والآيات في الأمر بالمحافظة علىٰ أمنه كثيرة؛ ومن أوضحها: قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

ومما يدل لأهمية الأمن وعظيم مكانته: حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمنـًا في سربه، معافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**»[1].

فبما سبق نعلم أهمية الأمن، وأنَّه منَّة من الله تبارك وتعالىٰ وعطية لا تُنَال إلا بالوسائل التي شرعها وبالطرائق التي بينها في كتابه، وبينها رسوله الكريم ﷺ في سنته.

❀❀❀

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ٥٤٢).

وسائل تحقيق الأمن والمحافظة عليه، على ضوء ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ

وقد تأمّلتُ في هذا الباب النصوص الواردة في الكتاب والسنة، وظهر لي -والعلم عند الله- **أن أسباب تحقيق الأمن ووسائل المحافظة عليه ترجع إلىٰ عشرة أسباب:**

السبب الأول: الإيمان:

وهو أساس الأمن، وهو السَّبب الأعظم، الذي لا أمن إلا به، بل إنَّ الإيمان في اشتقاقه اللُّغوي مشتقٌّ من الأمن الذي هو ضدُّ الخوف، والإيمان أمنٌ وطمأنينةٌ وسكون وثقةٌ بالله تبارك وتعالىٰ وقرارٌ ورضا واستسلام وانقياد لله جل وعلا؛ وكلَّما عَظُم حَظُّ العبد من الإيمان عَظُمَ حَظُّهُ من الأمن، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨]، وإذا انتفىٰ الخوف والحزن؛ حصل الأمن التام، والسعادة، والفلاح الأبدي(١).

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٢/ ١٠٨).

وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]. فانظر هذا الترتيب لحصول الأمن والاهتداء، وأن ذلك إنما يكون بالإيمان، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾؛ أي: لم يخلطوه بشرك بالله تبارك وتعالىٰ؛ فهؤلاء ثوابهم وثمرة إيمانهم: الأمن التَّام، والاهتداء التَّام في الدُّنيا والآخرة، ولهذا حظّ النَّاس من الأمن والاهتداء بحسب حظِّهم من الإيمان، ويمكن تقسيمهم علىٰ ضوء هذه الآية في تحصيلهم للأمن إلىٰ أقسام ثلاثة:

١- قسمٌ هم أهل الأمن الكامل، وهم أهل الإيمان الكامل.

٢- وَقسمٌ لا أمن لهم، وهم من لا إيمان لهم.

٣- وَقسمٌ لهم مطلق الأمن، لأنهم من أهل مطلق الإيمان.

والإيمان والأمن مترابطان، إذا وُجِد هذا وُجد ذاك، كما أنَّ السَّلامة مرتبطة بالإسلام، وتأمَّل في هذا الباب ما رواه التِّرمذي وغيره من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النَّبيِّ ﷺ كان إذا رأىٰ الهلال، قال: «**اللّهُمَّ أَهِلّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ**»[1].

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ٤٢٣).



وروىٰ الدَّارمي هذا الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَىٰ الْهِلاَلَ قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلاَمَةِ وَالإِسْلاَمِ، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللهُ**»[١].

فالأمن لَزِيم الإيمان وقرينه، والسَّلامة لَزِيمة الإسلام وقرينته، فمن طلب الأمن والسَّلامة فعليه بالإيمان والإسلام، ولهذا يُربِّي الإسلام أهله علىٰ ما يحقِّق أمنهم، وتأمل ذلك في حديث أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**»[٢]. وبهذا الحديث نعلم أنَّ تحقيق أهل الإيمان وأهل الإسلام للإيمان والإسلام- علىٰ صورته الصَّحيحة بقواعده وضوابطه الشَّرعية - هو الذي يحقِّق لهم الأمن، وهو الذي يجلب لهم السَّلامة.

فإذا كان المسلم لا يَسْلَمُ المسلمون من لسانه ويده؛ فهذا من نقص إسلامه، وإذا كان المؤمن لا يأمنه المؤمنون علىٰ أموالهم وعلىٰ أعراضهم؛ فهذا من نقص إيمانه وضعف دينه،

---

(١) أخرجه الدارمي (١٦٣٩)، وصححه لغيره الألباني في «الصحيحة» (١٨١٦).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢٧)، وصححه الألباني «صحيح الترمذي» (٣/ ٤٧).

وضعف صلته بالله تبارك وتعالىٰ، فالإيمان إذا وُجد بين أهله علىٰ ضوء كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ وُجد أمنهم وسلامتهم وطمأنينتهم وسعادتهم في الدُّنيا والآخرة.

السبب الثاني:
إخلاص الدين للّه، والإقبال على العبادة:

إخلاص الدِّين لله، وإفراد الله تبارك وتعالىٰ وحده بالعبادة، والخضوع له جل وعلا، والمحافظة علىٰ طاعته، والبعد عما نهىٰ عباده عنه، هذا من أعظم ما يُنال به الأمن، كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥]؛ فانظر بمَ يُبدَّل الخوف أمنًا والرُّعب طمأنينة والقلق هدوءًا وسكونًا؛ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فهذا موعود الله جلَّ وعلا- لأهل الإيمان وأهل الأعمال الصالحة.

والأعمال الصَّالحة، وعبادة الله جل وعلا، والذّل بين يديه؛ هو الذي يجلب للنَّاس الطمأنينة، وكم يَغفل الناس عنه؟! مع أنه الجالب للراحة والطمأنينة والأمن والإيمان.

عن معقل بن يسار رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**الْعِبَادَةُ فِي**



الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[١]. والهرج: هو اختلاط أمور النَّاس، وحصول الفتن والقلاقل، ونشوب المحن بينهم، ووجود القتل.

إلىٰ ماذا يُرشِد عليه الصَّلاة والسَّلام؟ إلىٰ العبادة، «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»؛ وقد قال بعض شُرَّاح هذا الحديث: لعلَّ سبب عِظَم شأن العبادة ومكانتها في الهرج أنَّ أكثر النَّاس يغفلون عنها- إذا وُجد الهرج، ينشغل النَّاس بالهرج والقيل والقال، والخوض في الفتن والتَّصدر لها ويغفلون عن عبادة الله تبارك وتعالىٰ؛ ولهذا عظَّم ﷺ من شأن العبادة في الهرج، وجعلها كالهجرة إليه، صلوات الله وسلامه عليه.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْج النَّبِيِّ ﷺ قالت: «اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا يَقُولُ: «**سُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ الْخَزَائِنِ؟ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنْ الْفِتَنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ**- يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ -**لِكَيْ يُصَلِّينَ، رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١٥).

إلىٰ ماذا أرشد صلوات الله وسلامه عليه في الفتن ؟ أرشد إلىٰ الصَّلاة، إلىٰ العبادة، إلىٰ طاعة الله جل وعلا، إلىٰ الإقبال علىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٣-٤] – لكنَّ الواقع أنَّ أكثر النَّاس إذا حصلت الفتن انشغلوا بالقيل والقال وكثرة الخصومات والتَّصدُّر للفتن، وينشغلون عن الخضوع للرب الجليل، وعبادة الخالق العظيم سبحانه وتعالىٰ.

❊❊❊



السبب الثالث:

الدعـاء:

قال أهل العلم: الدعاء مفتاح كل خير في الدُّنيا والآخرة.

وقال بعض السلف: تأملتُ الخير، فإذا أبوابه كثيرة؛ الصَّلاة والصِّيام والبرِّ، ووجدتُ أنَّ ذلك كله بِيَدِ الله، فأيقنتُ أنَّ الدُّعاء مفتاح كل خير.

فإذا أردت أيَّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة فاطلبه من الله جل وعلا، ومن أراد الأمن لنفسه ولأهل بيته ولأمّتِه؛ فليدعُ الله جل وعلا بذلك، وقد مرَّ من النُّصوص ما يَشهد لذلك، ومن ذلك: دعوة إبراهيم الخليل عليه السَّلام، ودعوة النَّبيِّ ﷺ في أوَّل كل شهر.

وقد ثبت في سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ**

خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»(١).

فهذا رسول الله ﷺ -قدوتنا وأسوتنا- كل يوم في الصَّباح والمساء يدعو بهذه الدعوات، وفيها: سؤال الله الأمن، وسؤاله الحفظ، وسؤاله العافية، فهذه الأمور لا تُنال إلا من الله، ولا تُطلب إلا مِنْهُ سبحانه وتعالىٰ.

جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا»(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يؤمن روعاتكم**»(٣).

فانظر أثر الدُّعاء المبارك، وفائدته العظيمة، وحاجة الأمَّة إليه، وأكثر النَّاس عنه غافلون.

والدُّعاء سبب عظيم ووسيلة مباركة لنيل الأمن؛ كيف لا؟!

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣/ ٢٤٨).
(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠١٨).
(٣) أخرجه الطبراني (٧٢٠)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٨٩٠).

والله جلَّ وعلا يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم:٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

السبب الرابع:

الرجوع في الفتن والنوازل لأهل العلم الراسخين المحققين:

أي: يرجع النَّاس في الفتن وفي المُلِمَّات وفي النَّوازل وفيما يَمَسُّ مصالح الأمة -في أمنها أو في خوفها- إلىٰ العلماء المحققين والأئمة الرَّاسخين، أهل الفقه وأهل الاستنباط، أهل البصيرة في دين الله، وأن لا يرجعوا إلىٰ كل أحد، ولهذا قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء: ٨٣]، وتأمل هذه الآية فإن فيها تأديبـاً للناس وتربية لهم؛ إذا حدثت الأمور التي تمس أمن الأمة أو خوفها أن لا يتكلم كل أحد، ولا يُسْتَفتىٰ كل أحد، ولا يُرجَع إلىٰ كل أحد، وإنما يُرجع إلىٰ العلماء الرَّاسخين أهل الاستنباط.

وعندما يَرجع النَّاس إلىٰ غير العلماء الرَّاسخين؛ تَحدث الفتن والشِّقاق والشُّرور والمهالك، ويتحقَّق الردىٰ في النَّاس، لأنهم يُفتونهم بغير علم، ويستعجلون في الفتوىٰ والإجابة علىٰ سؤالات النَّاس، علىٰ غير بصيرة وعلىٰ غير استنباط، وعلىٰ غير



تدبّر وتأمل لكلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

وقد مرّت الأمّة بمحن كثيرة؛ وكان من أسبابها: تصدُّر بعض النَّاس ممن لا دراية له ولا رسوخ له في العلم والفقه في دين الله تبارك وتعالىٰ؛ فأضرَّ نفسه، وأضرَّ من أضرَّ معه من عامة النَّاس.

فإذاً مِن وسائل حفظ الأمن الرُّجوع إلىٰ العلماء.

لكن انظر عندما تحدث النَّوازل، ماذا يكون في مجالس النَّاس ؟ بأي شيء يتحدثون؟ كلّ يُفتي، وكلّ يُدلي بِدَلوه، وكلّ يقترح، وكلّ يُبدي رأيه، بل أحيانًا يقوم الجهلة أو المبتدؤون من طلاب العلم أو أنصاف المتعلمين، يقومون ويُلقون الخُطَب أو المواعظ التي فيها تحديد لما يجب أن يُفعل، وما ينبغي أن يكون عليه النَّاس، ويتسرع في هذا الطرح؛ بينما العلماء الرَّاسخون عندما تُطرح عليهم مثل هذه المسائل؛ يَتأنون ويتدارسون ويتبصرون في الأمر، ثم يُبدون ما ظهر لهم من كلام الله وسنة رسوله ﷺ، بدون تَعَجُّل وبدون تَسَرُّع.

وقد جاء في «الأدب المفرد»[١] عن علي بن أبي طالب

---

(١) برقم (٣٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٢٥٠).

ﷺ بسندٍ ثابت أنَّه قال: «لَا تَكُونُوا عُجُلاً، مَذاييعَ بُذُراً، فَإِن مِن وَرائِكُم بَلاءً مُبْرِحًا مُملِحًا، وأموراً متماحِلةً رُدُحًا».

يعني فيه: فِتن ثقيلة، فيه أمور متطاولة، فيه فِتن مقلقة للنَّاس؛ فاحذروا من هذه الأمور الثَّلاثة:

الأمر الأول: العجلة: «لا تكونوا عُجلاً» أي: إياكم والعجلة، وعليكم بالتؤدة، كما قال ابن مسعود ﷺ: «إنَّها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة، فإنَّك أن تكون تابعًا في الخير خير من أن تكون رأسًا في الشَّر». إذا لم تستعجل، وكنت تابعًا في الخير؛ هذا أسلم لك وأبرأ لذمتك، بينما إذا استعجلت واتخذت قرارًا وأبديته للنَّاس؛ ربما تكون رأسًا في الفتنة والشَّرِّ؛ فلمَ العجلة ؟!

الأمر الثاني: مَذَاييع. أي: ممن يذيعون الفتنة، وانظر هذا المعنىٰ في الآية التي مرّت ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ [النساء:] .

يكثر في مجالسهم: سمعتم كذا ؟ انتبهتم لكذا ؟ عرفتم كذا؟ قيل: كذا، سمعنا كذا؛ ينقل، ولا يتأمَّل ما ينقله للنَّاس هل يضرهم أو ينفعهم؟! لا يبالي بذلك، وإنما يُذيع الكلام،

ويُخرجه من فمه نافعـًا أو ضاراً بغير مبالاة، متأكداً من صحته أو غير متأكد.

الأمر الثَّالث: «لا تكونوا بذراً» أي: ممن يَبْذُرُ الفتنة بين النَّاس، ويريد الشَّرَّ فيهم، ويسعىٰ في نشره بينهم، ويضع بذوره بين النَّاس، ثم تَنتَشر بينهم الفتن والشائعات والقلاقل والهرج والقيل والقال، مما لا ينفع النَّاس، بل يضرهم في أنفسهم وفي دينهم.

السبب الخامس:
المحافظة على جماعة المسلمين، والسمع والطاعة لولاة أمرهم:

لأنَّ الأمن لا يكون إلا بدولة، ولا تكون الدَّولة إلا بالسَّمع والطَّاعة، فإذا كان الأمير لا يُسْمَعُ له ولا يُطاعُ، ولا تُمتَثل أوامر الله جلَّ وعلا وأوامر رسوله ﷺ في حقِّ الأمير؛ يَنتَشر بين النَّاس الفساد والقلاقل والفتن والتَّطاحن والشّرور؛ ولهذا جاءت النُّصوص الكثيرة في الكتاب والسُّنة بالتَّأكيد علىٰ طاعة ولاة الأمر، والنصيحة لهم، والسَّمع والطَّاعة، وأن يصبر الإنسان، حتىٰ وإن كان منهم -أي: الولاة- أَثَرَةٌ، فإنه يصبر، ويسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يُصْلِح الأحوال، ويدعو لهم بالهداية والتَّوفيق والسَّداد، كما عليه منهج أهل السُّنة والجماعة؛ حفظ لجماعة المسلمين، وسمع وطاعةً لولاة أمرهم، وبذل للنصيحة.

عن تميم الدَّاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن، قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

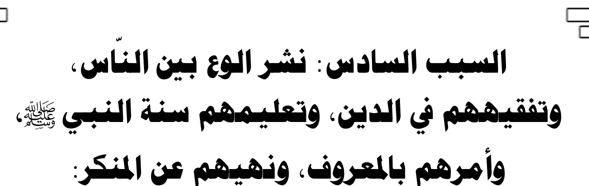
ومن النُّصح لولاة الأمر: أن تدعو لهم بالصَّلاح وبالعافية وبالسَّداد وبحسن الرَّأي، وبما ينفع العباد، بأن يكونوا رحمة علىٰ رعاياهم من المسلمين، وأن يصلحهم ويصلح بهم.

هذا الذي جاءت به السُّنة، وكان عليه سلف الأمَّة، وهذا مما ينشر الخير، حتىٰ قال أحد السَّلف: «لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام». لأنَّ صلاح الإمام له ولرعيته، بينما بعض النَّاس يخالف هذه القواعد، ويُألِّبُ علىٰ ولي أمره، وربما ينزع اليد من الطَّاعة، ويُألِّبُ النَّاس علىٰ ترك السَّمع والطَّاعة، ويدعو علىٰ ولي أمره، خلافًا لما دلت عليه النُّصوص وما كان عليه عمل السَّلف الصَّالح، رحمهم الله.

ولهذا من وسائل تحقيق الأمن والمحافظة عليه: تحقيق السُّنة فيما يتعلق بالمعاملة مع الولاة ومع الحكام، ويَفعل العبد ذلك دِيَانَةً وتقربًا لله تبارك وتعالىٰ، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية كلامًا معناه: ينبغي أن تُتخذ الولاية دِينًا تَتَقَرَّبُ به إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، وأن تكون متقيًا لله –جل وعلا – قائمًا بما يجب عليك تجاه ولاة الأمر، علىٰ ضوء ما جاء في الكتاب والسُّنة، لا علىٰ ضوء ما تهواه نفسك؛ ولهذا قال عليه الصَّلاة والسَّلام:

«ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أبداً: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلاة الأمْرِ، وَلُزُومُ الجَماعة، فإنَّ دَعوتهم تُحيط مِن وَرَائهم»[1]. يعني: قلب المسلم لا يوجد فيه شيء تجاه هذه الخصال الثَّلاثة، بل هو مطمئن لها، مرتاحٌ لها، محقِّق لها طاعةً لله تبارك وتعالىٰ وتقرُّبًا إليه، وطلبًا لنيل ومرضاته جلَّ وعلا.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٨٣) بإسنادٍ جيد.



السبب السادس: نشر الوع بين النّاس، وتفقيههم في الدين، وتعليمهم سنة النبي ﷺ، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر:

فإنَّ العلم والخير والهدىٰ إذا انتشر في النَّاس تحقَّق فيهم الأمن، وهذا مَطْلَبٌ يلزم الدُّعاة والخطباء والمعلمين في المدارس والمعلمات أن يحُثُّوا النَّاس عليه، يحثونهم علىٰ طاعة الله وعلىٰ تقواه، وعلىٰ فعل الأوامر وعلىٰ ترك النَّواهي، وعلىٰ الإقبال علىٰ الخير؛ لأنّ هذه المعاني الجليلة والطَّاعات والقُرُبَات وانتشار الخير بين النَّاس، يُحقِّق لهم أمنهم، ويحقِّق لهم سعادتهم، ويَأمَنُون به من الشُّرور والأضرار والآفات والفتن والمحن.

ولا ينشأ في المجتمع ما يخلخل أمنه إلا بسبب نقص العلم أو فساده، بينما إذا نشر في الناس العلم الصحيح؛ صلحت أمورهم، واستقامت أحوالهم، وتحقق أمنهم، وتمت سعادتهم.



السبب السابع:

تحقيق الأخوة الإيمانية:

تحقيق الأُخُوَّة الإيمانية التي دلّ عليها قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات:١٠]، وهذه الأُخُوَّة الإيمانية شأنها عظيم إذا وُجِدَتْ بين المجتمع وبين المسلمين، لكن تُحَقَّقُ علىٰ ضوء ما جاء في كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ. وتأمل في ذلك قول النَّبيِّ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ**»(٢). ثم انظر معالم هذه الأخوة ومتطلباتها في السُّنة.

ومنها: قول النَّبيِّ ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٨٤٤).

يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا- وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[١].

فتأمل هذا الحديث ونظائره من الأحاديث الدَّاعية إلىٰ تحقيق الأخوّة الإسلامية بين المجتمع، ليتحقَّق بينهم التَّراحم والتَّعاطف والتَّكافل والتَّعاون، حتىٰ يكون المجتمع المسلم كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»[٢].

❊❊❊

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) واللفظ له، والترمذي (١٩٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

السبب الثامن:

كف الأذى:

مطلوب من كل فرد من أفراد المجتمع كف الأذىٰ، وكل يُحَقِّقُ هذا الأمر في نفسه حفاظًا علىٰ أمنه وأمن مجتمعه؛ والإسلام جاء بهذا الأمر ودعا إليه، ورتب عليه من الأجور العظيمة والفضائل العميمة ما لا يُعَدُّ ولا يُحْصىٰ. و نفس الإنسان فيها شر، وقد كان عليه الصَّلاة والسَّلام يقول في خطبة الحاجة: «**وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا**». وأرشد عليه الصَّلاة والسَّلام إلىٰ الدعاء بالتَّعوذ من شرِّ النَّفس في عدة أحاديث، ومن ذلك: «**اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَىٰ نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسْلِمٍ**»[١].

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي تضبط الإنسان، فلا

(١) أخرجه أحمد (٨١) والترمذي (٣٥٢٩) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩١١).

يحصل منه شر ولا عدوان تجاه الآخرين، بكفِّ أذاه عن النَّاس، وكفِّ شرِّه عنهم، وأن لا يَتَعرَّض لأحد منهم بإساءة.

ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**»(١).

وثبت في سنن التِّرمذيِّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ عَلَىٰ أُنَاسٍ جُلُوسٍ فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ ؟**». قَالَ: فَسَكَتُوا. فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا. قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَىٰ خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَىٰ خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ**»(٢).

وثبت عنه ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَىٰ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَىٰ يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ٥٠٧).



الشَّرِّ عَلَىٰ يَدَيْهِ»[١].

ولهذا يجب علىٰ العبد أن يتقي الله عزَّ وجل في إخوانه، وألّا يتعرض لأيَّ أحد من المسلمين بأيِّ نوع من الأذىٰ، وألّا ينالوا منه إساءة؛ بل يكف شرَّه وأذاه عنهم، ويتَّقي الله تبارك وتعالىٰ فيهم.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٧)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٩٤).

السبب التاسع:

تطبيق الحدود التي فيها ردع المعتدي، وكف الظالم:

وهذا **الأمرُ متعلِّق بالولاة**، وبها يستَتِبُّ أمن النَّاس؛ ولهذا جاءت الشَّريعة بالقصاص في القتلىٰ، وأيضًا من اعتدىٰ علىٰ إنسان بأي نوعٍ من الاعتداءات يُعَاقَبُ بمثل ما عَاقَبَ به؛ مَنْ قَطَعَ يد غيره تُقْطَعُ يده، ومَنْ تعمَّد إتلاف عين غيره تُتلف عينه، ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ [المائدة:٤٥]، فكل ذلك جاءت به الشَّريعة لتحقيق أمن النَّاس.

وقطع يد السَّارق وجَلْدُ شارب الخمر وجَلْدُ الزَّاني إذا كان بِكْرًا وقتله بالرَّجْمِ إن كان ثَيّبًا، إلىٰ غير ذلك من الحدود التي تحقِّق أمن النَّاس في عقولهم وأمنهم في أموالهم، وأمنهم في أعراضهم وأمنهم علىٰ ديارهم؛ فهذه الحدود إذا طُبِّقَت علىٰ ضوء ما جاء في كتاب الله وسنَّة نبيه ﷺ، تحقَّق أمن الناس.



السبب العاشر:

شكر نعمة الله تبارك وتعالى:

وَنعم الله علىٰ عباده لا تُعَدُّ ولا تُحْصَىٰ، ومِن نعمه: الأمن الذي يعيشه أهل الإيمان.

والواجب علىٰ أهل الإيمان: أن يشكروا الله عز وجل علىٰ نعمة الإيمان وعلىٰ نعمة الأمن، وأن يشكروا الله تبارك وتعالىٰ علىٰ نعمة الإسلام ونعمة السَّلامة، وأن يكونوا حامدين لله علىٰ أنعمه، شاكرين لله تبارك وتعالىٰ علىٰ عطاياه ومِنَنِه.

أما إذا بَدَّل النَّاس نعمة الله كُفراً، ولم يشكروا نعمة الله- جل وعلا-؛ فإن أمنهم يَتبَدَّل خوفـًا، وطمأنينتهم تتبدل قلقـًا وانزعاجـًا، والنِّعمة إذا شُكرت قرَّت، وإذا كُفرت فرَّت، كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

فمن أسباب حفظ الأمن: شكر نعمة الله تبارك وتعالىٰ، وتأمَّل هذا المثل المضروب في القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢] أي: بسبب أعمالهم، ومنها: عدم شكر نعمة الله وكُفرَان نِعَمِه تبارك وتعالىٰ. والواجب علىٰ عباد الله المؤمنين؛ أن يكونوا شاكرين لله تبارك وتعالىٰ علىٰ نعمه العظام، وعطاياه التي لا تُعدُّ ولا تحصىٰ.

فهذه في تقديري وسائل تحقُّق الأمن وحفظه، وبعض ما ذكرت يدخل في بعض، ويجمع هذه الأسباب كلها السَّبب الأوَّل وهو الإيمان بالله تبارك وتعالىٰ، لكن هذه التَّفاصيل المراد منها زيادة البيان وزيادة التَّوضيح، وقد يُعطف علىٰ الشَّيء بعض أفراده تأكيدًا عليه واهتمامًا به وتنويهًا بشأنه.

نسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلا أن يحفظ علىٰ المسلمين أمنهم وإيمانهم، وأن يستر عوراتهم، وأن يُؤَمِّنَ رَوعاتهم، وأن يحفظ الجميع من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ونعوذ بالله تبارك وتعالىٰ أن نُغْتَالَ من تحتنا، ونسأله جل وعلا أن يُعيذَنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقد ثبت عن النَّبيِّ ﷺ في صحيح مسلم[١] أنَّه قال: «**تعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**». قالوا: نعوذ بالله

(١) برقم (٢٨٦٧).

من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ونحن نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسأله تبارك وتعالىٰ أن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شرٍّ، ونسأله -جلَّ وعلا- أن يصلح ولاة أمرنا، وأن يهديهم سواء السَّبيل، وأن يوفقهم لكل خير، وأن يعينهم علىٰ طاعته وما يقرِّب إليه، وأن يجعلهم رحمة علىٰ رعاياهم، وأن يسدِّدهم فيما يأتون وما يَدَعُون، وأسأله تبارك وتعالىٰ أن يصلح ذات بيننا، وأن يُؤلِّف بين قلوبنا، وأن يهدينا سبل السَّلام، وألّا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، وأسأله -جلَّ وعلا- من كل خير خزائنه بيده، وأعوذ به -جلَّ وعلا- من كل شرٍّ خزائنه بيده، إنَّ ربي لسميع الدُّعاء وهو أهل الرَّجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمَّد وآله وصحبه أجمعين(١).

---

(١) هي في الأصل محاضرة ألقيتها في دولة الكويت في المخيم الربيعي الذي أقامته جمعية إحياء التراث الإسلامي في ١٩/ ١/ ١٤٢٥هـ أثابهم الله ونفع بجهودهم. وقد فُرِّغت من الشريط، وأجريت عليها تعديلات يسيرة، وأبقيتها بأسلوبها الإلقائي كما كانت في المحاضرة. وبالله وحده التوفيق.



فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**